

## المماليك الجلبان ودورهم السياسي في عهد السلطان قانصوه الغوري (٩٠٦-٩٠٦) ٩٢٢هـ/١٥٠١-١٥١٦م

حسام الدين طلال محمود  
جامعة الموصل/ كلية التربية الاساسية قسم التاريخ  
(قدم للنشر في ٨ / ٨ / ٢٠٢٢ قبل للنشر في ٩ / ٩ / ٢٠٢٢)

### ملخص البحث:

شهد العصر المملوكي بشقيه الاول والثاني ظهور فئة سياسية جديدة من المماليك عرفت ب(المماليك الجلبان) ، التي تتميز عن المماليك المعروفة ب(المماليك الاجلاب) ، بأن افرادها من المماليك البالغين ، وقد اختلفت طرق وصولهم إلى مصر ما بين هجرات من بلدانهم الأصلية ، بسبب ما كانت تعانيه تلك البلدان من اضطرابات سياسية داخلية اضطررتهم او اجبرتهم للهجرة واللجوء الى مصر، او عن طريق الشراء من اسواق النخاسة ، بسبب تزايد الطلب عليهم ، فكل سلطان جديد كان يتجه لشراء اعداد من هؤلاء المماليك لتقوية عصبية ولتأمين عرشه ، ولم يقتصر ذلك على السلاطين فقط ، بل كانت رغبة الامراء حاضرة من اجل تقوية مركزهم بالدولة المملوكية.

وترجع البدايات الأولى لظهور المماليك الجلبان إلى عهد السلطان بيبرس البندقداري(٦٥٨-٦٧٦ هـ/١٢٥٩-١٢٧٧م)، وتحديداً إلى سنة ٦٥٩ هـ / ١٢٦٠م ، حيث قدمت الى مصر مجموعة صغيرة منهم تعد بالعشرات ، ثم توالى دخولهم لمصر بمرور السنين بالطرق المذكورة ، فأخذ السلاطين ينعمون عليهم بالمناصب الرفيعة حتى ازداد نفوذهم وقويت سطوتهم ، فأصبحوا يتحكمون بكثير من مفاصل الدولة المملوكية ، وكثيراً ما كان الجلبان يتمردون على سلاطينهم وامرائهم وعلى كبار رجال الدولة فضلاً عن اعتداءاتهم على الاسواق والعامّة من الناس بالقتل والسلب من اجل تحقيق مصالحهم ، مما كان له اسوء الأثر على الحياة السياسية للدولة المملوكية ، حيث لم يكد يخلو عهد سلطان من سلاطين المماليك من تمردات او فتن او مؤامرات لهم ومنهم السلطان قانصوه الغوري(٩٠٦-٩٦٦ هـ / ١٥٠١-١٥١٦م)، إذ شهد عهده الكثير من تلك الاعمال ، متغافلين ما كانت تعانيه الدولة المملوكية من ظروف صعبة سواء على الصعيد الداخلي والمتمثلة بخلو خزانة الدولة من الاموال، او على الصعيد الخارجي والمتمثلة بالخطر العثماني.

على الرغم من خلو دواوين الدولة ومن الخسارة التي منيت بها القوات المملوكية ومقتل سلطانهم الغوري في معركة مرج دابق في شهر رجب/٩٢٢ هـ / ١٥١٧م، وفي ظل تلك الأوضاع الحرجة استمر اولئك الجلبان بسوء افعالهم ، فكانوا سبباً بعدم استقرار المملوكية ، وبالتالي انهيارها وقيام الدولة العثمانية على يد السلطان سليم الأول سنة ٩٢٣ هـ / ١٥١٧م



## **The political role of the Mamluks during the reign of Sultan Qansuh al-Ghuri (906-922 Ah/1501-1516 AD)**

**Hussam al-Din Talal Mahmood**

**Fathi Salem Hamidi**

**University/Faculty of Basic Education History Department**

### **Search summary:**

The Mamluk era witnessed the emergence of a new political group of Mamluks known as the Mamluks, which are distinguished from the Mamluks known as the Mamluks, that their members are adult Mamluks, and their ways of arriving in Egypt differed from migrations from their countries of origin, because of the increasing demand for them, because of the increasing demand for them, Every new sultan was going to buy a number of these Mamluks to strengthen his nervousness and secure his throne, and not only the sultans, but the desire of the princes was present in order to strengthen their position in the Mamluk state..

The first beginnings of the appearance of the Mamluks date back to the reign of Sultan Peppers Al-Fazdari (658-676 Ah/1259-1277 AD), and specifically to 659 Ah /1260 AD, where a small group of them came to Egypt preparing By the dozens, and then they entered Egypt over the years in the ways mentioned, so the sultans began to enjoy them high positions until their influence increased and their power strengthened, so they controlled many of the joints of the Mamluk state, and many of the robes were rebelling against their authority and their princes and the senior statesmen instead of their attacks On the markets and the public of people by killing and looting in order to achieve their interests, which had the worst impact on the political life of the Mamluk state, where the reign of sultan of the Mamluk sultans was hardly without rebellions, sedition or conspiracies for them, including Sultan Qanswa al-Ghuri(9) 06-966 Ah /1501-1516 AD), where his reign witnessed many of these works, oblivious to the difficult situations suffered by the Mamluk state both internally on the one hand and the absence of the state treasury from money, as well as externally on the other hand represented by the Ottoman danger.

Despite the absence of state offices and the loss suffered by the Mamluk forces and the killing of their Gori sultan in the battle of Marj Dabiq in the month of Rajab/922 Ah /1517 AD, and in these critical situations continued their misdeeds, they were the reason for the instability of the Mamluks, and therefore its collapse and the establishment of the Ottoman State by Sultan Salim I in 1923 Ah /1517.

### أولاً/التعريف بالمماليك:

**المماليك لغة:** جمع مملوك، و(مملوك) اسم مفعول مشتق من الفعل (ملك) واسم الفاعل (مالك)، والمملوك هو عبد لمالكه، ويطلق عليهم أيضاً تسمية (الرقيق)، لأنهم يرقون لمالكهم ويذلون ويخضعون له<sup>(١)</sup>. ويطلق اسم (المماليك) اصطلاحاً: على الرقيق (الأبيض غالباً دون الأسود)<sup>(٢)</sup> حيث كان مصدر هؤلاء، اما عن طريق البيع والشراء، أو عن طريق الاسر في ميادين القتال ثم الاهداء أو الهبات أو على شكل ضريبة أو جزية يدفعها حكام الولايات<sup>(٣)</sup>. فالحكام كانوا يعملون على جلب اعداد كبيرة منهم من اقطار مختلفة، وتربيتهم تربية خاصة، بحيث تجعل منهم محاربين اشداء، ويتم استخدامهم كحرس للسلطة من أي اعتداء سواء كان داخلي ام خارجي<sup>(٤)</sup>.

### ثانياً/الجذور الأولى لظهورهم على المسرح الاسلامي:

تعود الجذور الأولى لظهور المماليك في العالم الإسلامي إلى القرن الأول الهجري/ السابع الميلادي وذلك على اثر الفتوحات الإسلامية التي امتدت إلى بلاد ما وراء النهر<sup>(٥)</sup>. حيث افضت هذه الفتوحات فضلاً عن الهدف الاسمي وهو نشر الدين الإسلامي وتوسيع رقعة ارضه، إلى الحصول على اعداد كبيرة من الاسرى ولاسيما الترك منهم<sup>(٦)</sup>.

اتفق المؤرخين على ان اول من استعان بطائفة المماليك هم الخلفاء العباسيين، ولكن اختلفوا في تحديد اول من استعان بهم من خلفاء الدولة العباسية، فمنهم من أشار إلى ان الخليفة المأمون (١٩٨-٢١٨هـ/ ٨١٣-٨٣٣م) هو اول من استعان بهم في دولته<sup>(٧)</sup>. في حين أشار البعض الاخر إلى ان الخليفة المعتصم (٢١٨-٢٢٧هـ/ ٨٣٣-٨٤١م) هو اول من استعان بهم<sup>(٨)</sup>.

في الحقيقة ان بدايات ظهور المماليك في دولة بني العباس، ترجع إلى عهد الخليفة أبو جعفر المنصور (١٣٦-١٥٨هـ/ ٧٥٤-٧٧٥م)، وذلك لورود إشارات تدل على ذلك، حيث يذكر النعيمي<sup>(٩)</sup> في كتابه، انه عندما أنشئت مدينة بغداد اتخذ الاتراك عدد من ارباضها وقطائعها سكناً لهم، في وقت كانت تلك الغلمان الاتراك ترسل كضريبة من ملوك طبرستان للخليفة أبو جعفر المنصور، وبرز منهم الكثير من القادة آنذاك. وكذلك ما ذكره الكندي<sup>(١٠)</sup> من ان أبو جعفر المنصور كان إذا ذكر يحيى ابن داؤود المعروف بأبي ممدوح الخرسى<sup>(١١)</sup> وهو تركي الأصل، قال فيه ((هو رجل يخافني ولا يخاف الله))، وفي هذا تعبير عن الولاء الذي يربط المملوك بأستاذه، ثم تولى الخرسى خراج مصر للمدة ١٦٢-١٦٤هـ/ ٧٧٨-٧٨٠م في عهد الخليفة العباسي المهدي (١٥٨-١٦٩هـ/ ٧٧٥-٧٨٥م)<sup>(١٢)</sup>.

واستمر استخدام المماليك طيلة العصر العباسي، فضلاً عن استخدامهم في الدول المستقلة التي نشأت في كنف الدولة العباسية، كالدولة الصفارية والسامانية والغزنوية والطولونية والاشيدية ثم الفاطمية فالأيوبية التي استكثرت منهم وبأعداد كبيرة لأسباب حتمتها الظروف اذ عمد صلاح الدين إلى تكوين جيش أساسه المماليك الاتراك والاحرار<sup>(١٣)</sup>. وقد أطلق على المماليك الاتراك الجدد اسم (المماليك الصلاحية) نسبة إلى اسمه، أو اسم (المماليك الناصرية) نسبة إلى لقبه الناصر<sup>(١٤)</sup>. وبلغت اعدادهم في جيشه نحواً من أربعة عشر الف مقاتل، وقد اثبت هؤلاء انهم خير معين له في حروبه ضد الغزاة الصليبيين<sup>(١٥)</sup>.

وبعد وفاة صلاح الدين (٥٨٩هـ / ١١٩٣م) اشتد التنافس بين ورثته من ابناءه واخوانه وابناءهم، الذين اخذوا باقتسام أملاك الدولة الايوبية فيما بينهم، وعلى اثر تلك النزاعات كان لابد على كل امير ان ينشئ قوة تعمل على حماية سلطانه، فزاد الامراء من شرائهم لهؤلاء المماليك ليكونوا سنداً لهم، وهكذا شهدت نهايات القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي وبدايات القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي، تزايد في اعداد المماليك ونفوذهم في مختلف الامارات ومنها مصر، واصبح لهم من المكانة ما لها التأثير الفعال في مجرى الأحداث آنذاك<sup>(١٦)</sup>.

وامر طبيعي ان يزداد اعداد هؤلاء المماليك طوال مدة الصراعات التي شهدتها الدولة من أجل السلطة، وكانت كل طائفة من هؤلاء المماليك تنسب إلى الملك الذي اشتراهم، مثال ذلك (المماليك الاسدية والمماليك الصلاحية والمماليك العزيزية)<sup>(١٧)</sup> وغيرهم<sup>(١٨)</sup>.

ونتيجة لازدياد مكانتهم ونفوذهم اخذوا يتدخلون في خلع وتعيين بعض ملوك الايوبيين ومنها استدعاء الصالح أيوب من حصن كيفا<sup>(١٩)</sup>، ودخل مصر في سنة ٦٣٨هـ / ١٢٤٠م<sup>(٢٠)</sup>.

كان يتوجب على الصالح أيوب حماية عرشه سواء كان من منافسيه في الداخل متمثلة ببقايا الايوبيين ام من اعدائه بالخارج متمثلة بالعدو الصليبي، فاخذ يكثر من شراء المماليك الاتراك<sup>(٢١)</sup> لدرجة لم يبلغه غيره من ملوك البيت الايوبي فاصبح معظم افراد جيشه منهم<sup>(٢٢)</sup> حتى ضاقت بهم مدينة القاهرة مما كان له اثار سلبية على المدينة، إذ اخذوا بنهب البضائع من الدكاكين وارعايا لناس، حتى قيل ان الناس توجهوا بالدعاء على سيدهم الملك الصالح الذي كان سبباً في ذلك حيث قيل:

الصالح مرتضى أيوب اكثر من ترك بدولته ياشر مجلوب

لا اخذ الله أيوب بفعلة فأناس اصبحوا في صبر ايوب<sup>(٢٣)</sup>

ومع ظن هذا الشاعر المعاصر بأن الناس قد ابتلوا بشر المماليك، إلا ان المماليك في ذات الوقت أبعدها شرّ المغول والصليبيين ليس عن القاهرة فحسب بل عن معظم البلاد المصرية وبلاد الشام، وبازدياد اذاهم للناس رأى الملك الصالح أيوب ان يبعدهم عن العامة، فاختر لهم جزيرة الروضة<sup>(٢٤)</sup> في نهر النيل لتكون مقراً لهم وجعل حول هذه القلعة مراكز حربية مجهزة بالسلاح وجعلها على أهبة الاستعداد لصد أي محاولة من جانب الفرنج فيما إذا اغاروا على احدى الثغور الاسلامية<sup>(٢٥)</sup>.

وقد اطلق على هؤلاء المماليك منذ ذلك الحين اسم (المماليك البحرية)<sup>(٢٦)</sup>، كما وعرفوا ايضاً باسم المماليك الصالحية نسبة إلى لقب استاذهم، وكذلك بالمماليك النجميين نسبة إلى اسم استاذهم نفسه الا ان الغالب والشائع ما عرفوا به بالبحرية، كما واتسمت معاملة الصالح نجم الدين أيوب لهم بالقسوة والحزم، فلم يتساهل معهم على أي فعل لا يرضيه<sup>(٢٧)</sup>.

ومهما يكن من امر فقد تمكن المماليك من الاستئثار بالسلطة مستغلين الظروف التي حلت بالدولة الأيوبية آنذاك، كما واثبتوا بمرور الوقت كفاءة عسكرية عالية من خلال تصديهم للخطر الصليبي ولاسيما اثناء حملة لويس التاسع ملك فرنسا (٦٢٤ - ٦٦٩هـ / ١٢٢٦ - ١٢٧٠م) على مدينة دمياط في سنة ٦٤٧هـ / ١٢٤٩م)، ولا يخفى للعيان ما كانت تهدف اليه هذه الحملة من استعادة بيت المقدس عن طريق السيطرة على مصر وتحطيمها عسكرياً باعتبارها بوابة الوصول والحصن المنيع، هذا بالإضافة لدعم الكيانات الصليبية<sup>(٢٨)</sup>.

والجدير بالذكر ان اجل الملك الصالح بدأ يلوح بالآفاق، وبعد ان جاءت الاخبار بتملك الفرنج لشعر دمياط، خرج الملك الصالح من القاهرة على الرغم من مرضه، الذي أدى إلى وفاته في ليلة الاحد الموافق ١٤ / شعبان سنة ٦٤٨هـ / ١٢٤٩م<sup>(٢٩)</sup>.

### ثالثاً/قيام الدولة المملوكية وبدايات المماليك الجلبان:

تعد سنة ٦٤٨هـ / ١٢٥٠م، من السنوات البارزة والمهمة في التاريخ الإسلامي، لأنها شهدت سقوط دولة وقيام أخرى، تمثلت بسقوط الدولة الايوبية وقيام الدولة المملوكية التي بسطت سلطانها على مصر والشام، ولاسيما ان ذلك تزامن مع انطلاق الحملة الصليبية السابعة على مصر.

سار سلاطين المماليك منذ قيام دولتهم سنة ٦٤٨هـ / ١٢٥٠م على نهج الدولة الأيوبية في شرائهم للمماليك الأجلاب<sup>(٣٠)</sup> واخضاعهم لنظام تربوي خاص قائم على الدين والعسكر، وبعد ان يتم عتقهم يندمجون ضمن ما يُعرف بـ(المماليك السلطانية)<sup>(٣١)</sup>.

وبعد أن استقرت أركان الدولة المملوكية<sup>(٣٢)</sup> اخذت تظهر فئة جديدة من المماليك تتميز عن فئة المماليك الأجلاب بأن أفرادها من البالغين الذين تجاوزت أعمارهم سنّ الرشد، وقد عُرف هؤلاء بالمماليك الجلبان، وقد اختلفت طرق جلب هؤلاء المماليك، فمنهم من وصل البلاد المصرية عن طريق الهجرات وقد اطلق عليهم تسمية (الوافدية)<sup>(٣٣)</sup> وكذلك أطلقت عليهم تسمية (المستأمنة)<sup>(٣٤)</sup> آنذاك<sup>(٣٥)</sup>.

إذ شهد العهد المملوكي خلال عصر دولة المماليك الأولى (البحرية) ودولة المماليك الثانية (الجراسية) العديد من الهجرات، وقد تفاوتت تلك الهجرات ما بين هجرات كبيرة نسبياً حيث تعد بالآلاف، وما بين هجرات صغيرة تعد بالمئات، وهجرات ثالثة يمكن ان نصفها بالهجرات الفردية إذ تعدّ بالعشرات، فضلاً عن اختلاف تلك الهجرات في أعدادها فقد اختلفت أيضاً بالأسباب والدوافع المسببة لها، منها من هاجر لدوافع خاصة تمثلت بالبحث عن أماكن أكثر اماناً بسبب اضطهاد الحكام لهم، أو ما كان لدوافع عامة تتمثل بظروف الصراعات السياسية بين افراد الطبقة الحاكمة، وكذلك انتشار الامراض والمجاعات والطواعين والكوارث الطبيعية والقحط، وبالمقابل ما كان يعرف عن بلاد مصر في ذلك الوقت من امن واستقرار ورخاء<sup>(٣٦)</sup>. فكان هؤلاء يدخلون البلاد اما خلسة وبعد ذلك يوافق السلطان على دخولهم أو يدخلون برغبة من السلطان نفسه، فينعم السلطان عليهم بالمناصب<sup>(٣٧)</sup>.

اما الطريقة الثانية في وصول هؤلاء المماليك الجلبان إلى بلاد مصر (الشراء)، حيث كان بعض السلاطين يعمدون بعد توليهم السلطة إلى عزل مماليك السلطان المقتول أو المخلوع السابق لهم، والاستعانة بمماليك جدد غالباً ما يكونون من أبناء جنسه من اجل تقوية نفوذه والمحافظة على سلطانه، وقد حمل هؤلاء المماليك الجلبان معهم اثناء قدومهم إلى البلاد المصرية عاداتهم وتقاليدهم واخلاقهم التي نشأوا عليها في اوطانهم، مما كان لها أسوأ الأثر على البلاد، وجعلهم أداة لهدم وتخريب الدولة المملوكية<sup>(٣٨)</sup>.

وقد ازدادت اعداد هؤلاء المماليك بشكل كبير منذ أواخر العصر المملوكي الأول، وقد أدت هذه الزيادة إلى انهيار في نظام تربية وتنشئة المماليك، الذي كان يمثل ركناً مهماً من اركان النظام السياسي للدولة آنذاك<sup>(٣٩)</sup>. إذ انهارت رابطة (الاستاذية)<sup>(٤٠)</sup> التي كانت تربط بين المماليك وسيدهم الذي يشرف منذ صغرهم على تربيتهم، كما انهارت أيضاً رابطة الزمالة (الخشداشية)<sup>(٤١)</sup>، التي كانت تجمع بين المماليك انفسهم من أبناء الطائفة الواحدة<sup>(٤٢)</sup>.

ومن ناحية أخرى، فقد ضعفت سيطرة السلاطين والأمرء على تلك الطائفة من المماليك، مما أدى إلى قيامهم بالكثير من أعمال الشغب والحوادث والاضطرابات وحروب الشوارع، فأصبحت القاهرة بأزقتها وطرفاتها مسرحاً لهذه الاحداث<sup>(٤٣)</sup>.

والحقيقة ان تلك الحوادث والحروب التي قام بها المماليك الجلبان في عهد دولة المماليك الأولى كانت مرهونة بتنازع كبار الامراء حول منصب السلطنة في اكثر الأحيان، حيث الفوضى والخوف واضطراب البلاد والعباد وغلقت الأسواق، نتيجة طبيعية لمثل تلك الحوادث<sup>(٤٤)</sup>.

ترجع البدايات الأولى لظهور المماليك الجلبان في العصر المملوكي إلى عهد دولة المماليك الأولى، فقد أورد كثير من المؤرخين ان بدايات ظهور هذه الطائفة من المماليك كان في عهد السلطان العادل كتبغا<sup>(٤٥)</sup>. الذي تولى السلطة سنة (٦٩٤-٦٩٦هـ / ١٢٩٤-١٢٩٦م)<sup>(٤٦)</sup>.

والحقيقة حسب رأينا أنّ الجذور الأولى لهؤلاء المماليك ترجع إلى عهد السلطان ركن الدين بيبرس البندقداري (٦٥٨-٦٧٦هـ / ١٢٦٠-١٢٧٧م)، فالصراعات التي نشبت بين ملوك التتار، لم ينجم عنها ازدياد تجارة الرقيق فحسب، بل ترتب عليها كذلك هجرات لطوائف وفئات من اجناس عُدت خاضعة لسلطة التتار ومنها كذلك طوائف تترية، وقد اطلق على هذه الطوائف التي قدمت إلى مصر في العصر المملوكي الأول تسمية الوافية والمستأمنة أو المستأمنين<sup>(٤٧)</sup>. وأول من قدم منهم إلى بلاد مصر في عهد السلطان ركن الدين بيبرس البندقداري، مجموعة صغيرة من الوافية تعد بالعشرات في سنة ٦٥٩هـ / ١٢٦٠م<sup>(٤٨)</sup>. ثم في يوم الخميس الموافق ١٤ / ذي الحجة سنة ٦٦٠هـ / ١٢٦١م، وصلت إلى الديار المصرية هجرة متوسطة العدد تعد بنحو مائتي فارس بنسائهم واولادهم من الأويراتية<sup>(٤٩)</sup> الهاربين من جيش هولوكو<sup>(٥٠)</sup>.

استمر توافد هذه الفئة من المماليك طيلة عهد الدولة المملوكية الاولى، فضلاً عن قيامهم ببعض التمردات والمؤامرات على سلاطينها وبعض امرائها، الا ان تلك التمردات والمؤامرات ازدادت معدلاتها بصورة ملحوظة في عهد الدولة المملوكية الثانية (٧٨٤-٩٢٣هـ / ١٣٨٢-١٥١٧م) بعد قيامها على يد السلطان الظاهر برقوق<sup>(٥١)</sup> الذي تولى السلطنة (٧٨٤-٨٠١هـ / ١٣٨٢-١٣٩٩م)، اذ عمد سلاطينها وامرائها للإكثار من المماليك الجلبان ليكونوا سنداً لهم ولتقوية مركزهم في الدولة المملوكية من جهة، ولتوفرهم في الاسواق وانخفاض اسعارهم من جهة اخرى، الا ان الحقيقة جاءت خلاف ما كانوا يطمحون له، فقد ازدادت سطوة اولئك الجلبان طيلة ذلك العهد ابتداءً بالسلطان برقوق وانتهاءً بالسلطان طومان باي الثاني الدواداري<sup>(٥٢)</sup>، وبمن فيهم عهد السلطان قانصوه الغوري الذي طالته اعتداءات المماليك الجلبان بالإضافة إلى اعتداءاتهم على كبار رجال السلطة وعلى العامة من الناس، كل ذلك من اجل تحقيق اهدافهم ومصالحهم، وفيما يلي اعتداءات وتمردات ومؤامرات المماليك الجلبان في عهد السلطان الغوري:

رابعاً/سلطنة قانصوه الغوري (٩٠٦-٩٢٢هـ / ١٥٠٠-١٥١٦م):

أدى مقتل السلطان العادل إلى نشر حالة من الفوضى بالقاهرة خاصة ومصر عامة، فأحجم الكثير من الأمراء عن تولي منصب السلطنة خشية ان يصيبهم ما أصاب طومان باي، واخيراً اتفق الأمراء على تنصيب الأمير قانصوه الغوري، ولكنه رفض ذلك التنصيب اول الامر، حتى قيل انه بكى خوفاً من ان يكون الموت مصيره، ويضيف الزيدي<sup>(٥٣)</sup> ان سبب اختياره لمنصب السلطنة لانه لين العريكة ويسهل خلعها. الا ان الحقيقة أظهرت خلاف ما كانوا يظنون، فبدأ السلطان قانصوه الغوري حكمه بالتخلص من انصار السلطان السابق له مستخدماً في تحقيق ذلك طريقة ذكية تدل على حنكة سياسية على الرغم من انه حديث العهد بالدولة المملوكية، حيث بدأ يمارس سياسة تقوم على الإيقاع بين الأمراء والمماليك وضربهم ببعض<sup>(٥٤)</sup>.  
والجدير بالذكر ان كل من تولى عرش السلطنة من السلاطين بغير رغبتاً منه كانت مدة حكمه طويلة مقارنة مع غيرهم من الأمراء ممن تولوها عن طريق المؤامرات والخديعة.

تولى قانصوه الغوري عرش السلطنة المملوكية بعد شروط اشترطها على كبار الأمراء ومماليكهم في اول ايام عيد الفطر الموافق يوم الاثنين أوائل شهر شوال سنة (٩٠٦ - ٩٢٢ هـ / ١٥٠٠ - ١٥١٦ م)، ولقب بالملك الاشرف، وكنى بأبي النصر<sup>(٥٥)</sup>.

لم يكن عهد السلطان الاشرف قانصوه الغوري ليخلوا من تمردات تلك الفئة من المماليك الجلبان على الرغم من تقريبيهم وميلهم إليه، فاستقبل عهده أولى تلك التمردات في اول يوم سلطنته حيث قام هؤلاء المماليك بتمرد كاد ان ينهي حكمه قبل ان يبدأ اصلاً، فنزلوا من طباقهم إلى المدينة ونهبوا العديد من المنازل التي تعود ملكيتها إلى أمراء في الدولة المملوكية، ثم ما لبثوا ان احرقوها، واضطرب الناس على اثر هذه الحادثة وسادهم الخوف، لاسيما وان هذا اليوم هو يوم عيد الفطر، فبذلك حرّموا الناس من الاحتفال بعيد فطرهم، ولم ينته ذلك التمرد الا بعد ان قرر السلطان شخص من الاتراك في ولاية القاهرة ثم ما لبث هذا الوالي ان نادى في القاهرة بالأمان وان يكف هؤلاء المماليك عن السرقة فهذاً بذلك الحال<sup>(٥٦)</sup>.

الا ان هذا الهدوء لم يدم طويلاً فسرعان ما أعاد هؤلاء الجلبان تمرداتهم يوم الخميس الموافق ١٢ / شوال من سنة توليه السلطنة، مطالبين السلطان بالإقطاعات والوظائف، ثم اعدوا الكرة في شهر ذي القعدة مطالبين بنفقة البيعة واعدتهم حتى يجمع المال، كل ذلك والخزانة خاوية<sup>(٥٧)</sup>.

واستناداً إلى ما سبق فقد اتبع الاشرف الغوري كافة التدابير من أجل تدارك ما تمر به الدولة المملوكية من أزمات اقتصادية ناتجة عن السياسات السابقة للسلاطين الذين سبقوه، فضلاً عن تجارتها المهددة من قبل البرتغاليين بسبب تحويل طرق التجارة عن مصر والبحر الأحمر من أجل التخلص من وساطة مصر، وذلك باكتشاف راس الرجاء الصالح، الذي كان يسمى قديماً (رأس العواصف) لكثرة ما به من





من السلطان الا ان غضب عليهم ورفض مطلبهم، وعلى اثر الرفض توجهوا صوب المدينة، ونزلوا في شوارعها وسرقوا ونهبوا أسواقها، كما وانضمت إليهم اعداد من العامة ممن ساءت احوالهم، وقدرت خسائر تلك الحادثة بخراب قرابة خمسمائة وسبعون دكان، كما وقدرت خسائر اصحاب الدكاكين من التجار بحوالي عشرون الف دينار، على الرغم من ان تلك الاعداد لا تكاد تخلو من المبالغة الا انها تشير إلى مدى الفساد الذي ساد سياسة الدولة الداخلية بسبب هؤلاء المماليك، ولم يكتف الجلبان بذلك بل حاولوا ان يقيموا الأمير دولاب باي<sup>(٦٥)</sup> سلطاناً جديداً بدلاً من السلطان الغوري، وما كان من هذا الأمير الا ان فر منهم صوب السلطان<sup>(٦٦)</sup>. وأضاف قاسم عبده<sup>(٦٧)</sup> ان مصر كادت ان تخرب على اخرها في هذا اليوم، ولم تهدأ ثائرتهم الا بعد ان سمعوا بتجمع الأمراء وعزمهم على الخروج لوضع حد لهذا التمرد.

لم تثن تلك الحادثة هؤلاء الجلبان عن طبيعتهم المتمردة، فبعد أيام منها اعدوا الكرة وخرجوا مانعين الأمراء من صعود القلعة للخدمة واشيع في المدينة ان السلطان اخذ يهدد بخلع نفسه والتنازل عن السلطة، ولم تهدد الأحوال الا بعد ان منح السلطان مجموعة منهم سيوفاً وتراكيش<sup>(٦٨)</sup> فضلاً عن أدوات القتال الأخرى كما وأعطى كل واحد منهم مبلغ ثلاثة دنانير ثمناً لشراء ملابس جديدة، ثم امرهم بالتجمع واحضر لهم مصحف الخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) (٢٤-٣٥ هـ / ٦٤٤-٦٥٥ م) وأقسموا عليه كل طبقة على انفراد بأن لا يثيروا فتنة ولا يخونوا السلطان ولا يغدروا به<sup>(٦٩)</sup>.

وقبل ان يتلاشى صدى هذا القسم للمماليك على مصحف الخليفة عثمان بن عفان ثار الجلبان ضد الوزير الجمالي يوسف البدري<sup>(٧٠)</sup> في شهر جمادي الأولى سنة ٩١٧ هـ / ١٥١١ م بسبب تأخر حصصهم المخصصة لهم من الأغذية وعزموا على قتله، فتغيب عنهم حتى هدأت الفتنة<sup>(٧١)</sup>.

ثم ثاروا على السلطان نفسه في شهر رجب من السنة ذاتها، وقصدوا شونته فنهبوا ما فيها من الشعير، وقد وقف السلطان موقف العاجز امام تزايد شر مماليكه الجلبان، وبلغت به الحال إلى ان يجمع هؤلاء المماليك في حوش القلعة مهدداً إياهم بخلع نفسه، وان يولوا عليهم من يختارونه وهذه المرة الثانية التي يهدد بها السلطان بخلع نفسه عن عرش السلطنة<sup>(٧٢)</sup>. في وقت كان السلطان سليم بن بايزيد العثماني<sup>(٧٣)</sup> يستعد لافتتاح مصر مع حلول العام التالي<sup>(٧٤)</sup>.

على الرغم من التهديدات الداخلية والخارجية التي تتعرض لها الدولة المملوكية، استمر أولئك المماليك على سوء افعالهم واعتداءاتهم بحق رجال السياسة في الدولة المملوكية طمعاً في الحصول على المزيد من المكاسب، فضلاً عن الاقطاعات، حتى بلغ بهم الامر قتل احد الزركادشية من اجل الحصول على اقطاعه، وذلك في شهر شوال من سنة ٩١٩ هـ / ١٥١٣ م، والجدير بالذكر ان اذاهم لم يتوقف عند هذا

الحد، بل شمل أيضاً المواشي من اغنام وابقار، فسرقوا الكثير منها، مما اثر ذلك سلباً على أسعار الاضاحي، فارتفعت إلى حد كبير وذلك في شهر ذي الحجة من السنة ذاتها<sup>(٧٥)</sup>.

دخلت سنة ٩٢٠هـ / ١٥١٤م ومعاناة الدولة وخزانتها مستمرة بالتدهور واحوال البلاد الداخلية مضطربة غاية الاضطراب، كل تلك الأمور لم تكن تعني الجلبان شيئاً، لأنهم ليسوا من سكان البلاد الأصليين من جهة، كما لم يكن أهلها يمتون لهم بصلة القرابة من جهة أخرى، وحتى خشداشيينهم (زملائهم) من المماليك القرانصة، اذ عدهم الجلبان منافسين لهم بأرزاقهم، فضلاً عن منافستهم لهم في المناصب ايضاً، اذ يجبرون السلطان على الانفاق والاغداق عليهم وهدمهم دون المماليك القرانصة، حتى وان اعطى السلطان للقرانصة شيء طالبه الجلبان بمنحهم ضعف ذلك، حتى بلغت بهم الحال قتل خشداشيينهم من القرانصة، إلى درجة انتشرت فيها جنث القتل في الأسواق والشوارع وغيرها من الأماكن، اما ان يكون مخنوقاً أو محروقاً أو مغرقاً، ثم ما يلبث ان يتبين ان القتل من المماليك القرانصة قتله احد المماليك الجلبان رغبتاً وطمعاً في الحصول على اقطاعه أو منصبه، كما حدث في يوم الأربعاء الموافق ٤/محرم من هذه السنة، حيث وجد قتل من المماليك القرانصة في سوق الغنم، وقد قتل خنقاً بوتر من رقبته، فرمي على حافة الطريق بعد ان عري من ملابسه، ولا يُعرف قاتله وقد شاع الخبر بأن ذلك من أفعال المماليك الجلبان من اجل الحصول على اقطاعه، لأن العامة اعتادت على افعالهم هذه، ولم يكن لهم حساب ولا عقاب يردعهم ويوقفهم عند حدهم، وهكذا اضطربت أحوال البلاد غاية الاضطراب في تلك الأيام، حتى أصبح المماليك يقتلون كل من تلوح يدهم عليه من اجل اقطاعه، كل ذلك كان يجري والسلطان الاشرف الغوري متغافل عنه مما أدى إلى استمرار سياستهم القائمة على الشر<sup>(٧٦)</sup>.

ومن الجدير بالذكر ان الوالي في كثير من الأحيان كان يعجز عن معرفة القاتل، ومع ذلك فإن وقاحة الجلبان واستهتارهم وفسادهم يدفعهم للصعود إلى القلعة مطالبين السلطان بإقطاع قتلاهم من المماليك القرانصة، ومن ذلك ما حدث في سنة ٩٢٠هـ / ١٥١٤م، عندما قتل احد المماليك الجلبان مملوكاً من القرانصة ممن كانوا يمتلكون اقطاعات كبيرة رغبة في الحصول على اقطاعه، بعد ان دعاه إلى وليمة فأسكره ثم خنقه، ثم ما لبث ذلك القاتل، ان صعد إلى القلعة مطالباً السلطان بإقطاع قتيله<sup>(٧٧)</sup>.

وبهذه الأوضاع المضطربة اخذت ساعة الصفر تدق ناقوسها بزوال الدولة المملوكية وبهدف اصلاح النظام الداخلي والتخلص من اضطرابات المماليك الجلبان وتمرداتهم، فضلاً عن مواجهة العجز الحاصل في دواوين الدولة، اجتمع السلطان الاشرف الغوري بالوزير البديري يوسف وعدد من مباشري الدولة المملوكية في يوم الاحد الموافق ٢٠/صفر من السنة ذاتها، واجرى هؤلاء حساباتهم بحضرة السلطان، فأظهروا خلوا دواوين

الدولة من الأموال وعجزهم عن الصرف لجميع فئات المماليك، وكإجراء سريع لتدارك الأوضاع فرض السلطان على المباشرين مبالغ مالية لتغطية شيء من ذلك العجز، وعند منتصف ذلك اليوم اشيع بتمرد باقي المماليك من غير الجلبان على السلطان، فأرسل الغوري بطلب بعضهم، فأخذ يعاتبهم على خروجهم، فأغلظوا عليه بالقول: ((انت الذي اشحت الدواوين بهذا العسكر الكثير الذي جمعته، وقطعت جوامك الايتام والنساء بسببهم،...، فقال لهم: انا ما جعلت ذلك العسكر المستجد الا ان يكون فداء لكم في الاسفار والتجاريدي، فقالوا له المماليك: هذا ما كان طريقة الملك الاشرف قايتباي وأنت الذي اشحت الدواوين حتى صار اللحم ينكسر خمسة اشهر وكذلك العليق يعطوه لنا من الشون قمح مسوس ما تأكله الخيل والجامكية التي تعطيها لنا ما تكفينا لكراء بيت واسطبل وجامكية الغلام ولكسوتنا والقماش كله غالي حتى الخام ما يوجد والاقسمة صارت غالية كل جرة بنصفين فضة فما نشبع في ايامك لا من اللحم ولا من الاقسمة ونحن جياع عرايا، فسكت السلطان ثم قال: لكم الرضا اصرف لكم اللحم المكسور وكذلك العليق اصرفه لكم شعير مغربل واجعل لكم الاقسمة كل جرة بنصف فضة))<sup>(٧٨)</sup>. فأرتفعت الأصوات له بالدعاء بعد ان كانوا قد عزموا على نهب المدينة وسرقة بيوت الأمراء ومباشري الدولة<sup>(٧٩)</sup>.

لم تقتصر اعتداءات وتمردات المماليك الجلبان على مصر، وانما امتد بطشهم إلى خارجها، فبعد ان عين السلطان اعداد منهم فضلاً عن اعداد أخرى من باقي المماليك للسفر إلى حلب في جمادي الأولى سنة ٩٢٠هـ/١٥١٤م، وبمجرد ان وصلوا قاموا بنهب المدينة حتى هم سكانها للخروج منها، وبعد ان هدأت ثأرتهم اخذ باقي المماليك من الاجلاب بالخروج ايضاً مطالبين السلطان بصرف رواتبهم اسوة بالجلبان، فأرسلوا من كان بحلب من الأمراء إلى السلطان بالقاهرة حاملين طلبهم مهديدين بنهب حلب، فأضطر السلطان إلى إجابة طلباتهم في بداية شهر شوال من السنة ذاتها<sup>(٨٠)</sup>.

والجدير بالذكر ان المماليك ولاسيما الجلبان منهم كانوا قد اعتادوا على طلب نفقة خاصة من السلطان في المناسبات الشخصية للسلطان نفسه، كالانتصار في معركة أو عند تماثله للشفاء من مرض أو خروج زوجته وأبنة للحج، وعند خروجهم للاجتماع كانوا يخرجون بكامل أسلحتهم متوعدين السلطان بالاضطراب، لإجباره على ارضائهم، ودفع الأموال لهم، وقد اشارت الروايات إلى ان السلطان اضطر لبيع اوقاف تابعة لمدرسته (مدرسة الغوري)<sup>(٨١)</sup> لإرضائهم والانفاق عليهم بسبب افلاس خزائن الدولة من الأموال، ففي يوم الخميس ٣/جمادي الآخرة من السنة نفسها، تمردوا على السلطان الاشرف الغوري في القلعة، واخذوا بجرم الأمراء من طباقهم، ثم عزموا على النزول إلى الشوارع لنهب الزينة، فلما وصلت الاخبار إلى مسامع السلطان، قام بإغلاق أبواب القلعة وباب السلسلة والباب الذي كان في الميدان، وعندما علمت العامة بذلك

ارتجت القاهرة، واقل كثير من الأمراء ممن لم يصعد إلى القلعة ابوابهم خوفاً من ان تطالهم اعتداءات الجلبان، وكانت اهم مطالبهم الحصول على النفقة البالغة مئة دينار لكل واحد، وذلك بمناسبة عودة السلطان من الإسكندرية سالماً، وعلى اثر ذلك أغلقت الأسواق والدكاكين، ولم يخمد هذا التمرد الا بعد ان تم توزيع الأموال عليهم في يوم السبت الموافق ٥/شوال<sup>(٨٢)</sup>.

انطلق الجلبان في تمرد اخر في نهاية السنة، في يوم الجمعة الموافق ١٨/ شوال وقصدت مجموعة منهم القلعة ومنها إلى الأسواق، فسرقوا منها كل ما وجوده وعم الاضطراب المدينة، ولم يخمد هذا التمرد الا بعد ان نادى السلطان بأن نفقتهم مستمرة ولكل منهم خمسون دينار دون ان يعطي القرائنة شيء<sup>(٨٣)</sup>.  
والحقيقة ان سياسة التفرقة والمفاضلة التي اتبعها السلطان الاشرف الغوري كانت لها تبعات سلبية على امن واستقرار البلاد واتجهت بالدولة نحو الزوال.

وصل فساد المماليك الجلبان إلى ذروته في سنوات حكم السلطان الغوري الأخيرة، كما وبلغت سطوتهم حداً لا يمكن لأحد مقاومته، سواء كان السلطان أو كبار أمراء الدولة المملوكية، ففي سنة ٩٢١هـ/ ١٥١٥م وتحديداً في مستهل شهر رجب، حدثت واقعة في القاهرة، وكان سبب هذه الحادثة ابن السلطان الاشرف الغوري، فعندما كان سائراً بمعية الطواشي الأمير سنبل<sup>(٨٤)</sup> مشد الجيوش<sup>(٨٥)</sup>، ومروا بأحد الخاصكية الجلبان من مماليك ابنيه السلطان، فسلم ابن السلطان على ذلك المملوك، فلم ينهض المملوك له، فما كان من ابن السلطان الا ان شكى ذلك المملوك لوالده، فأمر السلطان بتأديبه، فأرسل الأمير سنبل الطواشي بطلبه، فغضب عليه الأمير ثم ضربه بعضا ضربة مات على اثرها بعد مده، فعز ذلك على رفاقه الجلبان وعلى العسكر السلطاني، فطالبوا السلطان بتسليمهم الأمير سنبل والاخذ بثأر رفيقهم، فلما ايقن السلطان بأن الغلبة لهم واصرارهم على مطلبهم، وعزمهم على تخريب القاهرة ان لم يتم تحقيق مطلبهم، اصدر أوامره بتوسيط الطواشي الأمير سنبل، ثم القي لهم من اعلى القلعة ثم انفق عليهم النفقة واسترضاهم، وهكذا خمدت الفتنة وصعد أولئك المماليك إلى طباقهم في القلعة<sup>(٨٦)</sup>.

والحقيقة ان عجز أولئك السلاطين ومن معهم من الأمراء عن التصدي للجلبان ومنعهم من الاعتداء على الناس والأسواق، جعل اهل البلاد يعتمدون على انفسهم في التصدي لتلك الطائفة، وأشارت المصادر بأن الناس اخذوا بمقاومة أولئك المماليك، ومما يدل على ذلك الامر السلطاني الذي أصدره السلطان عقيب حادثة سنبل الطواشي، اذ نودي في القاهرة، بأن لا سوقي ولا تاجر من تجار البلاد يتعرض للمماليك السلطانية، ولا يمسك لاحد منهم فرس، ومن يخالف ذلك يعاقب بعقوبة تصل إلى قطع الايدي، كانت هذه الأوامر الصريحة من اشد أسباب الفساد آنذاك، حتى اصبح المماليك يدخلون الأسواق ويسرقون القماش من

دون ان يتجرأ احد من التصدي لهم أو يمنعهم من ذلك<sup>(٨٧)</sup>. وهذه القرارات كانت بلا شك عاملاً مؤثراً على الحياة السياسية الداخلية والتي بدورها انعكست على الأوضاع الأمنية للدولة المملوكية<sup>(٨٨)</sup>.

لم يكن امام السلطان الاشرف سبيل سوى تحقيق مطالب هذه الفئة من المماليك لما كانوا عليه من شدة وبأس، ففي شهر شوال من سنة ٩٢١هـ / ١٥١٥م، قام الجلبان بتمرد كبير ولم يطيعوا فيها سلطانهم الاشرف، وكانت مطالبهم صرف اجورهم المتأخرة لأشهر عديدة، وكذلك نصيبهم من اللحم لتأخر توزيعه ايضاً لعدة شهور عن مواعيده، كما طالبوه بعزل البعض من مبشري الدولة، ولم ينته هذا التمرد الا بعد ان وعدهم السلطان بتنفيذ مطالبهم<sup>(٨٩)</sup>.

أُخذ التمرد السالف الذكر بعد وعود بتنفيذ مطالبهم وشروطهم من قبل السلطان، الا ان تلك الوعود لم يُكتب لها التنفيذ على ارض الواقع، مما دفعهم إلى التمرد مره اخرى في يوم الثلاثاء الموافق ٢ / محرم سنة ٩٢٢هـ / ١٥١٦م، واشتد عبثهم ونهبهم لأسواق القاهرة، فلما ترامت اخبار ذلك التمرد إلى مسامع السلطان الاشرف ارسل بطلب اغاوات الطباقي<sup>(٩٠)</sup>. فلما احضروا بين يديه اغلظ عليهم بالكلام فأنبهم قائلاً: ((لا تسمعوا للمماليك القرانصة الذين يرمون بيني وبينكم الفتن، وتشتمون العدو فينا وابن عثمان متحرك علينا، ولا بد من خروج تجريدة عن قريب، حصلوا معكم ذهب ينفعكم اذ سافرتم والذي هو متزوج يطلق زوجته، ما يبقى وراءكم النقاثة اذ سافرتم في التجريدة))<sup>(٩١)</sup>. ولم يزداهم ذلك الا اصراراً على مطالبهم بل واخذوا يهددون ايضاً محتسب القاهرة بالقتل<sup>(٩٢)</sup>.

ومن صور استبداد الجلبان وشدة سطوتهم على العامة من الناس وتخوف كبار أمراء الدولة من محاسبتهم ومعاقبتهم، ما كان في شهر جمادى الأولى سنة ٩٢٢هـ / ١٥١٦م عندما كان السلطان على رأس حملة عسكرية، ان احدهم اشترى قمحاً من احد المراكب الراسية على حافة البحر ولم يجد ما يحمله وينقله فيه غير حماراً كان لأحد الفلاحين الصعايدة، فأخذ الحمار من الفلاح الصعيدي غصباً بعد ان ضربه، فما كان من الفلاح الا ان القى بنفسه في البحر فمات من وقته، وعندها اجتمع العامة على المملوك، وقبضوا عليه وسلموه للأمير الدوادر نائب الغيبة<sup>(٩٣)</sup> في بيته، وارسله بدوره إلى الوالي، فأودعه السجن لحين قدوم السلطان، فلما تسامع به خشداشيته توجهوا صوب بيت الدواداري، فلم يجده واخبروا بأن ذلك المملوك قد ارسل إلى الوالي، فعند ذلك توجهت مجموعة كبيرة منهم قاصدين بيت الوالي، ثم عزموا على نهبه وحرقه بعد ان اطلقوا سراح المملوك من الجلبان مرتكب الجرم، ولم يكن للأمير الدوادر الا التغافل عن تلك الحادثة خوفاً من ان يطاله اذى هؤلاء الجلبان<sup>(٩٤)</sup>.

ومن زاوية أخرى فقد اخذ الاشرف الغوري يتودد لفئة المماليك الجلبان ممن خرجوا معه في الحملة

الى مدينة حلب يوم الخميس الموافق ١٠/جمادى الآخرة، دون غيرهم من فئات المماليك الأخرى، إذ اخذ بتفرقة العطايا الجزيلة على المماليك الجلبان من أموال وخيول كثيرة وسلاح، ولم يمنح المماليك القرانصة شيئاً، فعز عليهم ذلك في الباطن<sup>(٩٥)</sup>. وكان لهذا الفعل مردود سلبي ظهرت اثاره بعد مدة قليلة.

ان لتفضيل السلطان الغوري ممالিকে الجلبان على غيرهم من الطوائف الأخرى كان له أسوء الأثر على الدولة المملوكية، ولاسيما في معركة حاسمة من تاريخ هذه الدولة، مع عدو عنيد وجيش جرار تمثل بأبن عثمان وجيشه، فبعد ان اجتمعت عوامل عدة كان لها الأثر الكبير في موقف السلطان الأشرف الحاسم تجاه سياسة العثمانيين التوسعية، لاسيما موقف الأخير السلبي تجاه رسل الأشرف الغوري ومعاملته لهم معاملة قاسية، ففي شهر رجب سنة ٩٢٢هـ / ١٥١٦م، وصل إلى حلب خبر مفاده ان السلطان العثماني سليم قبض على رسول السلطان المملوكي، وكان آنذاك قد ارسله السلطان الغوري رغبة للصلح، وعامله معاملة سيئة، حتى وصل الامر إلى حلق لحيته، في وقت كان السلطان الغوري قد اكرم رسول السلطان سليم وخلق عليه هدية تبلغ حوالي عشرة الاف دينار تقريباً، واذن له بالعودة لبلاده دون التفكير في انتظار رسوله الذي ارسله، وكان ذلك وقعاً شديداً على السلطان الغوري، فضلاً عما كان يحمله هذا الرسول من رسالة إلى الغوري من السلطان سليم<sup>(٩٦)</sup>. وفيها يقول: (قل لأستاذك يلاقيني في مرج دابق)<sup>(٩٧)</sup>.

فما سمع السلطان الغوري ذلك حتى ايقن بوقوع الحرب مع العثمانيين لا محالة، فخرج من حلب يوم الثلاثاء الموافق ١٠/رجب من السنة ذاتها بعد ان اقام بها قرابة من شهرين ومعه جيشه البالغ عدده نحواً من ثلاثين الف مقاتل، فوصل بهم إلى موقع مرج دابق<sup>(٩٨)</sup> ومكث هناك ثلاث ايام<sup>(٩٩)</sup>.

التقى الطرفان يوم الاحد الموافق ١٥/رجب عند مرج دابق، وكانت بداية الغلبة للمماليك على الجيش العثماني، لولا ما اشيع في صفوف العسكر من ان السلطان الأشرف الغوري امر بأن يخرج للحرب اول الامر المماليك القرانصة بحجة انهم اعلم بأمر الحرب من الجلبان، وكان قصده التخلص من القرانصة وشروهم ومكرهم، فأمر بتقديمهم للمعركة وتأخير الجلبان من ممالিকে، فلما علم القرانصة بمكره ورؤيته واقفاً مع جلبانه عز عليهم ذلك، ولم يتحرك احد منهم عن موضعه، فتغيرت نفوسهم عليه وقالوا له: ((نحن نقاتل بأنفسنا مع النار، وأنت واقف تنظر الينا كالعين الشامطة، ما تأمر احداً من مماليكك يخرج للميدان))<sup>(١٠٠)</sup>.

والحقيقة ان هذه الرواية وحسب رأينا بعيدة عن الصواب، لاسيما وأن السلطان نفسه كان في مواجهة جيش يزيد تعداده عن مائة وخمسون الفاً من مشاة وخيالة، فهو احوج ما يكون إلى الجند من اجل ادامة زخم المعركة، فمن غير المعقول ان يصدر السلطان امراً كهذا الامر، ولو اسلمنا بصحة ما ذكر فإن ذلك من اكبر أخطاء السلطان الغوري، فالجزء من جنس العمل.

وعلى كل حال فما ان سمع المماليك القرانصة بأمر السلطان حتى خارت نفوسهم وعزائمهم، فأنقلب النصر إلى انكسار، وانهزم الجيش المملوكي بمكيدة كل من خاير بك<sup>(١٠١)</sup> نائب حلب وجان بردي الغزالي<sup>(١٠٢)</sup> نائب حماه، وعلى اثر ذلك، فُقد الغوري تحت اقدام الخيول ويذكر انه قتل في وقتها، وحمل رأسه من اجل تأكيد النصر العثماني<sup>(١٠٣)</sup>. وبذلك يكون الغوري قد حكم خمسة عشر سنة وتسعة اشهر وخمسة وعشرون يوماً<sup>(١٠٤)</sup>. وهنا تحققت رؤية ذلك الرجل الصالح السالف الذكر<sup>(١٠٥)</sup>.

توجهت فلول السلطان الغوري المنهزمة من معركة مرج دابق صوب مدينة حلب، الا ان سكان تلك المدينة منعوا الأمراء والمماليك من دخولها والاحتماء فيها انتقاماً لما فعلوه المماليك بحق أهلها عند مسيرهم لمنازلة السلطان العثماني سليم، فما كان منهم الا ان توجهوا راجعين إلى مصر، فدخل السلطان سليم مدينة حلب<sup>(١٠٦)</sup>.

لم تثن تلك الأوضاع المتردية والهزيمة الكبيرة التي منيت بها قوات الدولة المملوكية تلك الفئة من المماليك عن القيام بأفعالها التمردية في مصر، ففي شهر شعبان نزل الجلبان من الطباقي قاصدين نهب خان الخليلي ثم احرقه، وقتل من فيه من التجار الروم مبررين فعلهم هذا بأن هؤلاء التجار من أعوان العثمانيين، وهم ممن شتموا بالسلطان استاذنا عند موته، ولم يخمد هذا التمرد الا بعد ان ارسل الأمير الدواداري بطلب اغوات الطباقي، وطالبهم بإخماد هذه الفتنة، ولولا هذه الحركة من قبل الأمير لخربت مصر عن اخرها في ذلك اليوم<sup>(١٠٧)</sup>.



## الخاتمة:

- ١- اختلف فئة المماليك الجلبان عن فئة المماليك الاجلاب، إذ كانت اعمارهم قد تجاوزت سن البلوغ اثناء قدومهم إلى مصر.
- ٢- احتفظ هؤلاء الجلبان بعاداتهم وتقاليدهم التي نشأوا عليها في بلدانهم الاصلية وبالتالي كان ذلك عامل سوء للدولة المملوكية.
- ٣- لم يلتزم المماليك الجلبان بالإسلام، بل ولم يطرق الاسلام قلب كثير منهم كالاويراتيه الذين بقوا على الوثنية.
- ٤- عُرف عن هؤلاء حبههم للسلب والنهب والقتل من أجل الحصول على المكاسب الشخصية، كالوصول لمنصب السلطنة، او غيره من مناصب الدولة الرفيعة، فضلاً عن الاموال والاقطاعات.
- ٥- كثيراً ما كان الجلبان يتمردون على السلطان من أجل الحصول على الكثير من الامتيازات، فضلاً عن زيادة في المرتبات رغم ما كانت تعانيه الدولة المملوكية وخزانتها من ضائقة مالية بسبب ما كان يصرف على الحملات العسكرية آنذاك.
- ٦- سوء افعال المماليك الجلبان وخروجهم المستمر على السلطان قانصوه الغوري ومطالبته بالمزيد من الاموال، اجبرته على فرض الضرائب المالية على الاملاك، مما اثقل كاهل العامة من الناس، وبالتالي كرهه الناس ومماليكه.
- ٧- طالبت اعتداءات المماليك الجلبان الكثير من امراء الدولة ممن يشغلون مناصب عليا في الدولة، كالوزراء وناظري الدواوين، فضلاً عن ناظر الجيش.

٨-ترافق مع تمردات المماليك الجلبان انتشار موجات من الغلاء.

٩-كان للمماليك الجلبان اثر كبير في سقوط الدولة المملوكية.

(١) أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الافريقي المصري، لسان العرب، اداب الحوزة (قم : ١٩٨٤م): ج ١٠/ ص ١٢٤.

(٢) بيبيرس المنصوري الدوادار، التحفة المملوكية في الدولة التركية، تاريخ المماليك البحرية في الفترة ٦٤٨ - ٧١١هـ، نشره وقدمه ووضع فهارسه: عبدالحميد صالح حمدان، الدار المصرية اللبنانية (القاهرة: ١٩٨٧م)، ص ٢٥؛ شافع بن علي بن عباس، الفضل المأثور في سيرة السلطان الملك المنصور، تحقيق: عمر بن عبدالسلام تدمري، المكتبة العصرية (بيروت: ١٩٩٨م)، ص ٢٦.

(٣) فايد حماد عاشور، العلاقات السياسية بين المماليك والمغول في الدولة المملوكية الأولى، دار المعارف (مصر: ١٩٧٤م)، ص ١٢؛ محمد مصطفى زيادة وآخرون، تاريخ الحضارة المصرية، المؤسسة المصرية العامة، (القاهرة، د.ت): ج ٢/ ق ٢/ ص ٤٨١.

(٤) stanly lane- poole, a history of Egypt in the middle agest, fbane gass( London;1968), p.242.

(٥) احمد عطية الله، القاموس الإسلامي، مكتبة النهضة المصرية (القاهرة : ١٩٦٦م): مج ٢/ص ٥٥٧.

(٦) عبدالمنعم رشاد، العرب وجمهوريات اسيا الوسطى الإسلامية، مجلة الدراسات التاريخية، بيت الحكمة (بغداد: ١٩٩٩م)، ص ١٧.

(٧) احمد مختار العبادي، في التاريخ العباسي والاندلسي، دار النهضة العربية (بيروت: د.ت)، ص ١١٧؛ مصطفى هاشم عبدالعزيز وعمر احمد سعيد، النظم الاقتصادية للدولتين المماليك البحرية والمماليك البرجية (الجراسية) (٦٤٨ - ٩٢٣هـ/ ١٢٥٠ - ١٥١٧م) "دراسة مقارنة"، مجلة جامعة تكريت، المجلد ٢٦، العدد ٧، كلية التربية للعلوم الانسانية (جامعة الموصل: ٢٠١٩م)، ص ٣٩١.

(٨) ابن ظاهر المقدسي المطهر، البدء والتاريخ، مكتبة الثقافة الدينية (بور سعيد: د.ت): ج ٦/ ص ١١٤؛ أبو الفرج عبدالرحمن علي بن محمد بن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، دار صادر (بيروت: ١٩٣٩م): ج ١١/ ص ٢٥؛ فاروق عمر فوزي، تاريخ العراق في عصر الخلافة العربية الإسلامية، مكتبة النهضة (بغداد: ١٩٨٨م)، ص ١٢٣-١٢٥.

(٩) محمد نزار قادر النعيمي، الجيش وتأثيراته في سياسة الدولة الإسلامية، دار الكتاب الثقافي (بغداد: ١٩٤٤م)، ص ١٦٥.

(١٠) أبي عمر محمد بن يوسف المصري، الولاة وكتاب القضاة، تهذيب وتصحيح: رفن كست، مطبعة الإباء اليسوعيين (بيروت: ١٩٠٨م)، ص ١٢٢-١٢٣.

(١١) يحيى بن داؤود المعروف بأبي ممدوح الخراسي: يكنى أبا صالح، من اهل خراسان، والخرسي نسبة الى خراسان، كان هو واخواه سعيد وأبو قدامة عبيداً لزياد بن عبدالرحمن القشيري، وكان ابوهم داؤود (تركياً) وامهم خالة ملك طبرستان، تولى خراج

مصر في ذي القعدة سنة ١٦٢ هـ / ٧٧٨م؛ ينظر: محمد بن جرير الطبري، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط ٣، دار المعارف (مصر: ١١١٩م): ج ٨/ ص ١٤٣.

(١٢) جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، المؤسسة المصرية للتأليف والنشر (مصر: د.ت.): ج ٢/ ص ٤٤ - ٤٦.

(١٣) المقرئ، الخطط: ج ١/ ص ٧٠؛ طقوش، تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام، ص ٢٢.

(١٤) العبادي، في التاريخ الأيوبي والمملوكي، ص ٤٥.

(١٥) علي إبراهيم حسن، مصر في العصور الوسطى من الفتح العربي إلى الفتح العثماني، مكتبة النهضة المصرية (القاهرة: ١٩٤٧م)، ص ١٩٤؛ عاشور، الحركة الصليبية، ط ٢، مكتبة الانجلو المصرية (القاهرة: ١٩٧١م): مج ٢/ ص ١٠٧٥؛ هاملتون جب، دراسات في حضارة الإسلام، ترجمة: احسان عباس واخرون، ط ٣، دار العلم للملايين (بيروت: ١٩٧٩م)، ص ١٠٠.

(١٦) المقرئ، السلوك: ج ١/ ص ١٤٦.

(١٧) المماليك الأسيديّة: نسبة إلى اسد بن شيركوه، المماليك الصلاحية: نسبة إلى صلاح الدين الأيوبي، المماليك العزيرية: نسبة إلى العزيز عثمان بن صلاح الدين الأيوبي؛ ينظر: زيادة واخرون، تاريخ الحضارة المصرية: مج ٢/ ص ٤٨٣.

(١٨) شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: محمد ضياء الدين، الهيئة المصرية العامة (مصر: ١٩٩٢م): ج ١/ ص ٢٩-٣٦.

(١٩) حصن كيفا: ويقال كيبا، وهي بلدة وقلعة عظيمة وحصينة تشرف على دجلة بين آمد وجزيرة ابن عمر من ديار بكر، وهي ذات شعب مدفونة في الجبال؛ ينظر: أبي القاسم بن حوقل النصيبي، صورة الأرض، دار صادر (بيروت: ١٩٣٨م): ج ١/ ص ٢٢٤؛ الحموي، معجم البلدان: ج ٢/ ص ٢٦٥؛ ابن عبد الحق، مرصد الأطلال: ج ١ / ص ٤٠٧.

(٢٠) ابن واصل، مفرج الكروب: ج ٢/ ص ٤٠٧؛ عزمي عبد أبو عليا، مسيرة الجهاد الاسلامي ضد الصليبيين في عهد المماليك (٦٤٨-٩٢٣ هـ / ١٢٥٠-١٥١٧ م)، دار النفائس (عمان: ١٩٩٥م)، ص ١١.

(21) on (U.S.A:1974), Spink and Son, Encyclopedie Britannica, Macropaedia V11,15 The Editi p70.

(٢٢) صفوان طه حسن، تاريخ الأيوبيين والمماليك، دار الفكر، (عمان: ٢٠١٠م)، ص ١١٩.

(٢٣) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة: ج ٦/ ص ٣١٩؛ محمد بن أحمد بن اياس الحنفي، بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق: محمد مصطفى، فرانز شتاينر، (فيسبادن: ١٩٧٥م): ج ١/ ق ١/ ص ٢٦٩.

(٢٤) جزيرة الروضة: يطلق عليها قديماً اسم (جزيرة مصر) وسميت بالروضة في زمن الأفضل بن أمير الجيوش، كانت هذه الجزيرة قبل ظهور الاسلام منتزهاً فيها من البساتين الكثيرة والمناظر الجميلة، خاصة لملوك القبط، فلما آلت السلطة للصالح أيوب واستكثر من المماليك وزاد شرهم على الناس عزم على بناء قلعة له ولمماليكه، فشرع في بنائها سنة ٦٣٨ هـ / ١٣٤٧م، وأحاط القلعة بعدد من الابراج بلغت نحو ستين برجاً، ومن المهم أن نذكر أن هذه القلعة تعاقب عليها السلاطين عبر الزمان إلى أن اندثرت معالمها بعد عهد السلطان جقمق؛ ينظر: جلال الدين عبدالرحمن السيوطي، بلبل الروضة مع دراسة عن جزيرة

الروضة، مكتبة الأنجلو المصرية، (القاهرة: ١٩٨١م)، ص ٥-١١؛ ابن إياس، بدائع الزهور: ج ١/ ق ١/ ص ٢٧٠-٢٧١.  
(٢٠) عبدالرحمن بن محمد بن خلدون، تاريخ ابن خلدون المسمى كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، دار القلم (بيروت: ١٩٨٤م): ج ٥/ ص ٤٣٠؛ المقريزي، السلوك: ج ١/ ص ٤٤١؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة: ج ٦/ ص ٢٢١؛ محمود شاكر، التاريخ الإسلامي-٧- العهد المملوكي ٦٥٦-٩٢٣هـ، ط ٤، المكتبة الإسلامية (بيروت: ١٩٩١م)، ص ٣٦؛ مفيد الزبيدي، موسوعة التاريخ الإسلامي في العصر المملوكي، دار اسامة للنشر والتوزيع (عمان: ٢٠٠٩)، ص ٤٠؛ صالح احمد حسين لمجي، الحياة العلمية في مصر في عهد المماليك البحرية (٦٤٨-٧٨٤هـ / ١٢٥٠-١٣٨٣م)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب (جامعة الموصل: ٢٠٠٣م)، ص ١٥.

(٢١) المماليك البحرية: اختلف المؤرخون في تفسير هذه التسمية، فالمقريزي وأبو المحاسن وهم من المؤرخون الإسلاميون المتأخرون، ذكروا انهم سموا بالبحرية نسبة الى بحر النيل الذي أحاط بثكناتهم في الروضة، هذا ما لم يشير اليه المؤرخون المعاصرون للملك الصالح أيوب أمثال ابن واصل وابي شامة، وهناك رأي اخر يذهب به مفسره الى ان هذه التسمية اطلقت نسبة الى الطريق البحري الذي يسلكه المماليك من أسواق النخاسة في بلادهم حيث البحر الأسود ثم بحر القرم الى خليج القسطنطينية ومنه الى البحر الأبيض المتوسط ثم الى مصر فالإسكندرية او دمياط، وهذا ما ذهب اليه كل من محمد مصطفى زيادة، وهو اول من شك في اصل هذه التسمية، وكذلك جوافيل الذي حارب المماليك البحرية في حملة لويس التاسع واسر عندهم وتحدث اليهم بصفته رجل معاصر وشاهد عيان؛ ينظر: الذهبي، سير اعلام النبلاء، تحقيق: بشار عواد معروف و محيي هلال السرجاني، ط ١١، مؤسسة الرسالة (بيروت: ١٩٩٦م): ج ٣/ ص ١٩٢؛ زيادة وآخرون، تاريخ الحضارة المصرية: ج ٢/ ق ٢/ ص ٤٨٣؛ p.84، 1874، Tr. Joan evans, paris, history of sant louis, Jean Joinville.

(٢٢) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة: ج ٢/ ص ٣٣١.

(٢٣) عماد الدين اسماعيل أبو الفداء، المختصر في اخبار البشر، دار المعارف (القاهرة: ١١١٩م): ج ٣/ ص ١٧٩؛ صفوان حسن، تاريخ الأيوبيين والمماليك، ص ١٢٢.

(٢٤) أبو الفداء، المصدر نفسه: ج ٣/ ص ١٧٩؛ ابن إياس، بدائع الزهور: ج ١/ ق ١/ ص ٢٧٨.

(٢٥) الممالك الأجلاب: هم ممالك صغار في السن يتم شرائهم، ويعين لهم من يقوم على تربيتهم، وعند بلوغهم الخلم يتعلمون الفروسية ثم يعتقون ويتدرجون في الإمرة؛ ينظر: أنطوان خليل ضومط، الدولة المملوكية التاريخ السياسية والاقتصادي والعسكري ١٢٩٠-١٤٢٢، دار الحداثة (بيروت: ١٩٨٠م)، ص ٣١.

(٢٦) المماليك السلطانية: تعد اهم فرقة من فرق الجيش المملوكي وعموده الفقري، وهي مرتبطة بالسلطان من حيث النشأة والإقامة وتتكون من فئات عدة وهي: الخاصكية والقرانيص والسيفية والأجلاب والجلبان، تشكل الخاصكية حرس السلطان الخاص، وفرادها يلازمونه حتى في خلواته، وتوكل اليهم المهامات الخاصة، كتفويض الاحكام وغيرها، وشغلوا مناصب امراء العشراوات، أما القرانيص هم ممالك السلاطين القدامى، وكان هؤلاء اشد خطراً وشوكة، لانهم كانوا يمثلون القوة الحقيقية للسلطان الجديد وكان كل واحد من هؤلاء يعتبر برتبة امير خمسة، ثم السيفية هم ممالك الامراء السابقين ممن توفوا او قتلوا

او سجنوا وغنمهم أسقطت الامارة، ثم الاجلاب وهم الذين يشتريهم السلطان صغاراً، ويسكنهم بالطباق ويعين من يقوم على تربيتهم، اما الجلبان يطلق عليهم أيضا الوافدية، وهم ارقاء بالغين دخلوا البلاد المصرية، اما عن طريق الهجرات او عن طريق الشراء؛ ينظر: ابي العباس احمد القلقشندي، صبح الاعشى، دار الكتب الخديوية (القاهرة: ١٩١٤م): ج٤/ص١٥؛ غرس الدين خليل بن شاهين الظاهري، زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، تصحيح: بولس راويس، المطبعة الجمهورية (باريس: ١٨٩٤م)، ص١١٤؛ حسن الباشا، الفنون الإسلامية والوظائف على الاثار العربية، دار النهضة العربية (القاهرة: ١٩٦٦): ج١/ص٢٥؛ محمد قنديل البقلي، التعريف بمصطلحات صبح الاعشى، الهيئة المصرية العامة للكتاب (القاهرة: ١٩٨٣م) ص١٦؛ حلاق وصباغ، المعجم الجامع، ص١٥.

(٣٢) فتحي سالم حميدي وفائز علي بخيت، الممالك الجلبان ودورهم في الأوضاع الداخلية للدولة المملوكية، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية المجلد ٨، العدد ٤ (جامعة الموصل: ٢٠٠٩م): ص٢٦٧.

(٣٣) الوافدية: مصطلح عام تسمى به جميع العناصر البشرية التي هاجرت الى البلاد المصرية من الشرق وفي العهد المملوكي أطلقت هذه التسمية على الترك والمغول الذين وفدوا الى بلاد مصر طوعاً او كرها، وانضم كثير منهم للجيش المملوكي ولقيت هذه العناصر التكريم من جانب السلاطين المماليك؛ ينظر: العمارة، المعجم العسكري، ص٣٦١.

(٣٤) المستأمنة: مصطلح اطلق على الجماعات التترية التي دخلت مصر على شكل هجرات متتابعة للهروب من حكامها وطلبت هذه الجماعات الأمان من سلاطين دولة المماليك، وانضم هؤلاء الى الجيش المملوكي آنذاك، وكانوا نواة لدخول الوافدية الى البلاد المصرية. ينظر: العمارة، المعجم العسكري، ص٧٢.

(٣٥) السيد الباز العريني، المماليك، دار النهضة العربية (بيروت: د.ت)، ص٥٨.

(٣٦) علي السيد علي، بحوث في التاريخ الاجتماعي من العصر المماليكي، المجلس الأعلى للثقافة (القاهرة: ٢٠١٤م)، ص١٣.

(٣٧) ضومط، الدولة المملوكية، ص٣٤.

(٣٨) حسين عاصي، ابن اياس مؤرخ الفتح العثماني لمصر، دار الكتب العلمية (بيروت: ١٩٩٣م)، ص٨١.

(٣٩) قاسم، أسواق مصر في عصر سلاطين المماليك، مكتبة سعيد رأفت (القاهرة: ١٩٧٨م)، ص٥٤.

(٤٠) الاستاذية، مصطلح فارسي يعني المعلم والعالم القدير في صنعته، وهذا المصطلح مر عبر العصور بتطورات كثيرة، ففي العصر العباسي كان يعبر عن الخصي الماهر بصنعه ما وكان له غلمان تحت يده يؤدبهم، اما في العصر الفاطمي كان يوجد هناك فئة الاستاذيون المحنكون وكذلك غير المحنكين في سلك الجيش الفاطمي، اما عند الايوبيين والمماليك من بعدهم فقد اطلق الأستاذ والاستاذية على من يقوم بشراء وتربية وتعليم المماليك؛ ينظر: الجواليقي، المعرب من الكلام الاعجمي على حروف المعجم، ص٢٥؛ محمد التونجي، المعجم الذهبي (فارسي-عربي)، دار العلم للملايين (بيروت: ١٩٦٩م)، ص٦٥؛ قتيبة الشهابي، معجم القاب ارباب السلطان في الدول الإسلامية، وزارة الثقافة (دمشق: ١٩٩٥م)، ص١٧.

(٤١) الخشداشية: تعني الزميل بالخدمة، وهو لفظ فارسي، والخشداشية: هم الأمراء الذين نشأوا كمماليك وعملوا عند سيد واحد، فقامت بينهم رابطة الزمالة، ينظر: محمد احمد دهمان، معجم الالفاظ التاريخية في العصر المملوكي، دار الفكر (دمشق: ١٩٩٠م)، ص٦٨-٦٩.

- (٤٢) قاسم، عصر سلاطين المماليك، دار الشروق (القاهرة: ١٩٩٤م)، ص ٧٣.
- (٤٣) قاسم وعلي السيد علي، الايوبيين والمماليك، ص ٢٠٧.
- (٤٤) قاسم، عصر سلاطين المماليك، ص ٧٣.
- (٤٥) كتبغا، وهو العادل زين الدين كتبغا بن عبدالله المنصوري المغولي التركي، وهو العاشر من ملوك وأبناء الترك بالديار المصرية، تولى السلطنة بعد خلع الناصر محمد بن قلاوون في يوم السبت ١١/محرم عام (٦٩٤هـ / ١٢٩٤م) وكان اصله من سبايا التتر، اسر في معركة حمص عام ٦٥٩هـ / ١٢٦٠م على يد المنصور قلاوون ثم اصبح من المماليك السلطانية، ثم تدرج في المناصب من خاصكي ثم أمير عشرة وامير طبخانة ومقدم الف، وبمقتل الاشرف خليل وتولي أخيه محمد جعله نائباً للسلطة ثم تسلطن، وخلع عام ٦٩٦هـ / ١٢٩٦م، وبعد خلعه من السلطة، تولى نيابة صرخد ثم حماه، ومات عام ٧٠٢هـ / ١٣٠٢م؛ ينظر: ابن اياس، بدائع الزهور، ج ١، ق ١، ص ٣٨٦؛ زاهدة محمد طه محيي الدين المزوري، الصراع على السلطة = في العصر المملوكي الأول في مصر وبلاد الشام (٦٤٨هـ - ٧٨٤هـ / ١٢٥٠ - ١٣٨٢م)، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الآداب (جامعة الموصل: ٢٠٠١م)، ص ٨١.
- (٤٦) حكيم أمين عبد السيد، قيام دولة المماليك الثانية، تقديم محمد مصطفى زيادة، الدار القومية للطباعة والنشر (القاهرة: ١٩٦٦م)، ص ١٨؛ ضومط، الدولة المملوكية، ص ٣٦.
- (٤٧) العريني، المماليك، ص ٥٨.
- (٤٨) بيبرس الدوادر، التحفة المملوكية في الدولة التركية، ص ٧.
- (٤٩) الاويراتية: ويطلق عليهم أيضاً، أويراد، اورباد، العويراتية، وهي أسماء تُطلق على جنس معين من القبائل المغولية، سكنت الأجزاء العلوية من نهر بنسي غربي منغوليا، وخضعت لحكم جنكيز خان في عام ٦٠٥هـ / ١٢٠٨م، وعرفوا بالتتر الوافدية بسبب توافدهم الى دولة المماليك حيث استوطنوا بالشام ومصر وفلسطين واندمجوا في جملة الجيش المملوكي؛ ينظر: العيني، عقد الجمان: ج ٣/ ص ٣٠٤؛ العريني، المغول، دار النهضة العربية (بيروت: ١٩٨١م)، ص ٣٤؛ أنور محمود زناتي، معجم مصطلحات التاريخ والحضارات الإسلامية، دار زهران للنشر والتوزيع (الاردن: ٢٠١١م)، ص ٤٨؛ فتحي سالم حميدي اللهيبي، رياح الشرق، دار النهضة العربية (بيروت: ٢٠١٣م)، ص ٢٩.
- (٥٠) هولاکو: هو هولاکو بن لتولوي خان بن جنكيز خان، والخامس بسلسلة اخوته، والثالث من الأبناء المعتمدين الأربعة لتولوي خان، امه سيورقوتيتي بيكي ابنة جاكمبو اخي اونك ملك الكرايت، ولد سنة ٦١٣هـ / ١٢١٥م، في منطقة قراقرم عاصمة المغول، وتوفي سنة ٦٦٣هـ / ١٢٦٥م، وعمره ٤٨ سنة؛ ينظر: عبدالرحمن فرطوس حيدر، الايلخان هولاکو ودوره في نشأة وقيام الدولة الايلخانية، أطروحة دكتوراه (غير منشورة)، كلية الآداب (جامعة بغداد: ٢٠٠٣م)، ص ٣٢.
- (٥١) برقوق: وهو السلطان الملك الظاهر أبو سعيد سيف الدين برقوق بن انص العثماني اليلبغاي، اول ملوك الجراكسة ببلاد مصر والخامس والعشرين من ملوك الترك واولادهم، ولد بقرية تسمى كسا سنة ٧٤١هـ / ١٣٤٠م، وعندما كبر واصبح صبياً حُطف من بلاده ثم بيع في بلاد القرم، وسمي بالعثماني نسبة الى تاجره (فخر الدين عثمان)، ولقب أيضاً باليلبغاي نسبة الى الأمير يلبغا الخاصكي الذي اشتراه، وكان اسمه الحقيقي (الطنبغا)، وقيل (سودون) فسماه برقوقاً لفتور كان في عينيه، توفي

- ليلة الجمعة الموافق ١٥ / شوال سنة ٨٠١هـ / ١٣٩٨م، وعمره ثلاثة وستين سنة؛ ينظر: ابن تغري بردي، الدليل الشافي: ج ١ / ص ١٨٧-١٨٨؛ ابن اياس، بدائع الزهور: ج ١ / ق ٢ / ص ٣١٨-٥٢٦؛ مهدي، ممالك مصر والشام، ص ١٥٩.
- (٥٢) طومان باي الثاني الدوداري: جركسي الأصل جُلب الى مصر فأشتره قانصوه الغوري وقدمه للأشرف قايتباي، اعتق في عهد الناصر محمد بن قايتباي، ترقى بالمناصب حتى اصبح دوداراً كبيراً في عهد السلطان الغوري، بوسع للسلطنة بعد وفاة الغوري، مات شتقاً سنة ٩٢٣هـ / ١٥١٧م؛ ينظر: الزركلي، الاعلام: ج ٣ / ص ٢٣٣.
- (٥٣) العصر المملوكي، ص ١٢٩-١٣٠.
- (٥٤) الصفدي، تاريخ دولة الإسلام: ج ٣ / ص ٩٠؛ طرخان، مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة، ص ٤٧؛ موير، تاريخ دولة المماليك في مصر، ص ١٨١.
- (٥٥) ابن سباط، تاريخ ابن سباط: ج ٢ / ص ٩٢٣؛ بن العماد الحنبلي، شذرات الذهب: ج ٨ / ص ٢٨؛ احمد وعبدالعزيز، النظم الإدارية للدولتين المماليك البحرية والمماليك البرجية: مج ٤٩ / ص ٧٨ / ص ٣٩٨.
- (٥٦) صلاح عيسى، رجال مرج دابق قصة الفتح العثماني لمصر والشام، دار الفتى العربي (بيروت: ١٩٨١م)، ص ٩٥.
- (٥٧) ابن اياس، بدائع الزهور: ج ٤ / ص ٧-٨.
- (٥٨) احمد زين الدين المعبري المليباري، تحفة المجاهدين في أحوال البرتغاليين، تحقيق: محمد سعيد الطريحي، مؤسسة الوفاء (بيروت: ١٩٨٥م)، ص ١٥٢.
- (٥٩) سليم، عصر سلاطين المماليك: ج ١ / ق ١ / ص ٢٨٧؛ الزيدي، العصر المملوكي، ص ١٣٣.
- (٦٠) حميدي والحديدي، المماليك الجلبان: مج ٨ / ص ٤٤٤ / ص ٢٧٨.
- (٦١) ابن اياس، بدائع الزهور: ج ٤ / ص ١٠٧-١١٥؛ مرعي الحنبلي، نزهة الناظرين، ص ١٢٥؛ بن العماد الحنبلي، شذرات الذهب: ج ٨ / ص ١١٤.
- (٦٢) اخبار الدول واثار الأول: ج ٢ / ص ٣٢٣-٣٢٤.
- (٦٣) سورة الأعراف، الآية ١٣٦.
- (٦٤) الأتابك قرقماش: اصله من ممالك الاشرف قايتباي، اعتقه ثم تولى مناصب كبيرة بالدولة وعدة نيابات، انعم عليه الناصر محمد بن قايتباي بتقدمة الف ثم عين أميراً للحج سنة ٩٠٢هـ / ١٤٩٦م، وفي شوال سنة ٩٠٣هـ / ١٤٩٧م انعم عليه السلطان الناصر لقب رأس نوبة كبير، وفي عهد الظاهر قانصوه اصبح نائباً على حلب، ثم سجن واطلق سراحه في عهد الغوري ثم تولى منصب الأتابكية، توفي في اليوم الموافق ٢٣ / رمضان سنة ٩١٦هـ / ١٥١٠م؛ ينظر: سليم، عصر سلاطين المماليك: ج ١ / ق ١ / ص ١٧٩.
- (٦٥) الأمير دولت باي: من ممالك الاشرف قايتباي، ترى بالمناصب حتى اصبح نائباً عن البيرة في عهد الناصر محمد بن قايتباي، ثم نيابة حلب، ثم نيابة الشام في سنة ٩٠٥هـ / ١٤٩٩م، ثم أتاكاً في اليوم الموافق ١٠ / صفر سنة ٩١٧هـ / ١٥١١م، وتوفي بعد خمسة عشر يوماً من توليته لهذا المنصب؛ ينظر: ابن اياس، بدائع الزهور: ج ٤ / ص ٢١٣-٢١٦.
- (٦٦) سليم، عصر سلاطين المماليك: ج ١ / ق ١ / ص ٣٠٤.

- (٦٧) أسواق مصر في عصر سلاطين المماليك، ص ٥٦.
- (٦٨) تراكيش: لفظة فارسية وتعني الكنانة او الجعبة التي يوضع داخلها النشاب وتكون اما من الخشب او الجلد؛ ينظر: دهمان، معجم الالفاظ التاريخية، ص ٤٤؛ حلاق وصباغ، المعجم الجامع، ص ٥٨؛ العميرة، المعجم العسكري، ص ٧٦.
- (٦٩) عيسى، رجال مرج دابق، ص ٩٦.
- (٧٠) الوزير الجمالي يوسف البدري: اصله من مماليك الأمير يشبك بن مهدي الدوادر، قدمه للأشرف قايتباي، تدرج بالمناصب حتى اصبح محتسباً في القاهرة في اليوم الموافق ١٧/رمضان سنة ٩١٤هـ / ١٥٠٨م، ثم تولى الوزارة يوم الاثنين الموافق ٥/صفر سنة ٩١٦هـ / ١٥١٠م، ثم عزل على اثر تمرد المماليك الجلبان سنة ٩٢١هـ / ١٥١٥م ثم اعيد اليها بعد اشهر، ثم اصبح ناظر الذخيرة ووكيل بيت المال في عهد طومان باي، مات غريقاً في شهر صفر سنة ٩٢٥هـ / ١٥١٩م؛ ينظر: سليم، المرجع السابق: ج ١/ق ١/ ص ٢٦٣-٢٦٥.
- (٧١) سليم، عصر سلاطين المماليك: ج ١/ق ١/ ص ٢٦٣.
- (٧٢) عاصي، مؤرخ الفتح العثماني، ص ٨٢؛ هنادي زعل مسعود الهنداوي، السلطان قانصوه الغوري ونهاية دولة المماليك، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الآداب (جامعة اليرموك: ٢٠٠٤م)، ص ١١٤.
- (٧٣) سليم بن بايزيد العثماني: هو ابن السلطان بايزيد الثاني بن السلطان محمد الفاتح، ولد سنة ٨٧٥هـ / ١٤٧٠م، لقب بالسلطان الشجاع، وهو احد اصغر أبناء السلطان بايزيد الثاني، كان والياً على طربزون قبل اعتلائه العرش، توفي ٩٢٧هـ / ١٥٢٠م؛ ينظر: كولن، سلاطين الدولة العثمانية، ص ٩٠.
- (٧٤) راسم رشدي، مصر والشراكسة صفحات من تاريخ مصر الحديث، تحقيق: راسم رشدي، مكتبة العرب (القاهرة: ١٩٤٨م)، ص ٩٥-٩٦.
- (٧٥) ابن اياس، بدائع الزهور: ج ٤/ ص ٣٤٢.
- (٧٦) ابن اياس، بدائع الزهور: ج ٤/ ص ٣٥٨.
- (٧٧) عيسى، رجال مرج دابق، ص ٩٩.
- (٧٨) ابن اياس، بدائع الزهور: ج ٤/ ص ٣٦٩.
- (٧٩) المصدر نفسه: ج ٤/ ص ٣٦٩.
- (٨٠) المصدر نفسه: ج ٤/ ص ٣٨٣-٤٠٤.
- (٨١) مدرسة الغوري: مدرسة انشأها السلطان الغوري سنة ٩٠٩هـ / ١٥٠٣م، بسوق الجملون بالقاهرة، وزودها بكثير من الأشياء، كالمصحف العثماني، فضلاً عن الاثار النفيسة؛ ينظر: رشدي، مصر والشراكسة، ص ٩٨-٩٩.
- (٨٢) ابن الحمصي، حوادث الزمان: ج ٣/ ص ٥٠٩؛ سليم، عصر سلاطين المماليك: ج ١/ق ٢/ ص ٣٠٤.
- (٨٣) ابن اياس، بدائع الزهور: ج ٤/ ص ٤٣١.
- (٨٤) الأمير سنبل: هو سنبل الاشرفي الطواشي ويقال له سنبل الصغير للتمييز عن اخر اكبر منه، كان خازن دار استاذة ومن المبجلين المقربين؛ ينظر: السخاوي، الطوع اللامع: ج ٣/ ص ٢٧٢.



- (٨٥) مشد الجيوش: هو رئيس الجند الذي يراقب الجند ويشد همتهم في العمل والسير للقتال؛ ينظر: دهمان، معجم الالفاظ التاريخية، ص ١٣٩.
- (٨٦) ابن اياس، بدائع الزهور: ج ٤/ ص ٤٦٥؛ ابن الحمصي، المصدر السابق: ج ٣/ ص ٥١٣؛ سليم، المرجع السابق: ج ١/ ق ٢/ ص ٣٠٤.
- (٨٧) قاسم، أسواق مصر في عصر سلاطين المماليك، ص ٥٧.
- (٨٨) حميدي والحديدي، المماليك الجلبان: مج ٨/ عد ٤/ ص ٢٧٨-٢٧٩.
- (٨٩) سليم، عصر سلاطين المماليك: ج ١/ ق ١/ ص ٢٦٤.
- (٩٠) عاشور، العصر المملوكي، ص ١٨٩.
- (٩١) ابن اياس، بدائع الزهور: ج ٥/ ص ٧.
- (٩٢) المصدر نفسه: ج ٥/ ص ٧.
- (٩٣) نائب الغيبة: وهو احد أمراء المئات، يتولى صاحبها الحكم نيابة عن السلطان، في حال غيبة السلطان عن القاهرة، ومنزلته ادنى من النائب الكافل الذي يتولى نيابة السلطان بحضرته في جميع الأمور؛ ينظر: ماجد، نظم دولة سلاطين المماليك: ج ١/ ص ٤٣؛ العميرة، المعجم العسكري، ص ٣٣٦.
- (٩٤) ابن اياس، بدائع الزهور: ج ٥/ ص ٥٠ - ٥١.
- (٩٥) ابن اجا، العراك بين المماليك والعثمانيين، ص ٢٤٥ - ٢٤٦.
- (٩٦) ابن اجا، العراك بين المماليك والعثمانيين، ص ٢٤٧؛ عاشور، العصر المماليكي، ص ١٩١.
- (٩٧) ابن اياس، بدائع الزهور: ج ٥/ ص ٦٨.
- (٩٨) مرج دابق: سهل على نهر القويق قرب حلب شمالي سوريا، دارت فيه رحى معركة حامية بين الجيش المملوكي والجيش العثماني، إنتهت بانتصار القوات العثمانية وذلك في شهر رجب سنة ٩٢٢هـ / ١٥١٦م؛ ينظر: نشوان بن سعيد الحميري اليمني، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكوم، تحقيق: حسين بن عبدالله العمري واخرون، دار الفكر المعاصر (بيروت: ١٩٩٩م): ج ٤/ ص ٢٠١٩؛ الغزي، الكواكب السائرة: ج ١/ ص ٢٩٨.
- (٩٩) القرمانى، اخبار الدول واثار الأول، ص ٣٢٦؛ عبدالرحمن بن حسن الجبرتي، عجائب الاثار في التراجم والاخبار، تحقيق: عبد الرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم، دار الكتب المصرية(القاهرة: ١٩٩٨م): ج ١/ ص ٣٦.
- (١٠٠) ابن زنبيل الشيخ امد الرمال، اخرة المماليك او وقعة السلطان الغوري مع سليم العثماني، تحقيق: عبدالمنعم عامر، الهيئة المصرية العامة للكتاب(مصر: ١٩٩٨م)، ص ١٠٠؛ سليم، عصر سلاطين المماليك: ج ١/ ق ١/ ص ١٨١.
- (١٠١) خايرك بك: هو خاير بك بن بلباي الجركسي، المعروف بملك الأمراء، من مماليك الاشرف قايتباي ثم اعتقه، فعين جمداً فخاصكياً ثم أمير عشرة في عهد الناصر محمد بن قايتباي، وفي سنة ٩٠٣هـ / ١٤٩٧م بعثه السلطان رسولاً للملك العثماني فعاد بعد سنة من ذلك، ثم تقلبت به الأحوال ما بين سجن وفرار ومناصب، حتى اصبح نائباً على حلب، مات في يوم الاحد الموافق ١٤ / ذي القعدة سنة ٩٢٨هـ / ١٥٢١م؛ ينظر: سليم، عصر سلاطين المماليك: ج ١/ ق ١/ ص ٢٣٢-٢٣٦.

(١٠٢) جان بردي الغزالي، من ممالك الاشرف قاييبي، والغزالي نسبة الى الضيعة التي عين فيها (منية الغزال)، ثم اصبح جمداراً ثم تقلبت به الأحوال ما بين سجن وفرار ومناصب حتى تولى نيابة حلب سنة ٩١٨هـ / ١٥١٢م، ثم في يوم الخميس الموافق ٢٠ / رمضان سنة ٩٢٢هـ / ١٥١٦م اصبح نائباً بالشام، وبعد خيانتة للجيش المملوكي قلده السلطان سليم نيابة البلاد الشامية والطرابلسية، قتل على يد سليمان القانوني بن سليم سنة ٩٢٧هـ / ١٥٢٠م؛ ينظر: الغزي، الكواكب السائرة: ج١ / ص ١٧٠-١٧٢.

(١٠٣) ابن طولون، مفاكهة الخلان، ص ٣٣٤؛ مرعي الحنبلي، نزهة الناظرين، ص ١٢٦؛ الزيدي، العصر المملوكي، ص ١٣٥.

(١٠٤) رشدي، مصر والشراكسة ، ص ٩٦.

(١٠٥) ينظر: صفحة (٣٠) من هذه الدراسة.

(١٠٦) الهنداوي، السلطان قانصوه الغروي ونهاية دولة المماليك، ص ١٢٩.

(١٠٧) ابن اياس، بدائع الزهور: ج ٥ / ص ٨٢.